النَّقائِصُ العِلْميَّةُ

تأليف

عبدُ الله بنُ سُليمان العُتَيِّق

الحمدُ للهِ المُتَفَرِّدِ بالكمال ، المُتَنَزِّهِ عن النقائصِ مع كمال الجمال و الجلال ، و الصلاة و السلام على السيِّد الكريم ، ذي المحتد الفخيم ، سيدنا و حبيبنا محمد ، و على آله و صحبه و مَن تعبَّد .

أما بعد :

فإنَّ غايات الكمال مَطْلَبٌ نفيس لدى العقلاء ، و مرمىً عالٍ في سيرة الحكماء ، و لا يعتري ذلك أدنى شكٍّ ، و لا قيدٌ من ريب ، و لكن أبى الله الكمال إلا لكتابه ، و اعترى الخلل كل مخلوقاته ، و تسلط النقص على كيانات الكمالات .

و من تلك الغايات المحمودة ، و المرامي المقصودة ( العلم ) الشريف ، و ما حواه من فخر لطيف ، فقد اعترته شوائب النقص ، و خالجته آفات الكمال .

و ليس ذاك النَّقْصُ من ذات العلم ، بل هو من سالكيه ، و طارقي أبوابه .

و لأهمية العلم ، و سُمُوِّ غايته جرى اليراع مقيِّداً آفاتٍ تختلج كيانه ، و سطر الحبر ذلك مظهراً بيانه .

و لقد كشف عن ذلك مُبَيِّنَاً آفات العلم و نقائصه العلامة محمد البشير الإبراهيمي \_ رحمه الله تعالى \_ حيث قال " آثاره"( 1/154 ) : و إن من نقائصنا المتصلة بحالتنا العلمية الحاضرة ثلاثاً لا كمال معها ، و من المؤسف أن ناشئتنا العلمية المستشرفة إلى الكمال لا تفكر في السلبي منها و لا الإيجابي .

هذه النقائصُ الثلاث هي :

- ضعف الميل إلى التَّخَصُّص .

- ضعف الميل إلى الابتكار .

- الكسلُ عن المُطَالَعَة .

و إذا كانت الأوليان مُتعسرتين لفقد دواعيهما ؛ فإن الثالثة أقرب إلى الإمكان . أ.هـ

و كما ترى أن هذه النقائص هي ركائزُ في العلم ، و أصول في الثقافة ، و تخلُّفُها يعني الإخلال الكبير في ديمومة الإنتاج الثقافي العلمي .

و إلى بيانٍ شافٍ كافٍ لهذه النقائص .

**النَّقِيصَةُ الأُولى**

**ضَعْفُ الميلِ إلى التخصُّص**

ضَعْفُ الميل إلى التَّخَصُّص آفةٌ أدركت فئاماً من طُّلاّب العلوم ، و لابد من النظر إلى هذه النقيصة من خلال خمسة محاور :

**الأول : في معنى ( التَّخصُّص ) .**

يُعْرَفُ ( التَّخصُّصُ ) عند أهله بأنه : اشتغالُ رَجلٍ بعلمٍ من العلوم ، و معرفته بدقائقهِ ، و إلمامه بمباحثه .

و كما ترى أن هذا التعريف لـ ( التَّخصُّص ) في أرض العمل مُغْفَلٌ مُهْمَلٌ .

**الثاني : أقسام الناس بالنسبةِ لـ ( التَّخصُّص ) .**

طُلاَّبُ العلوم كثيرون ، و أهل ( التَّخصُّص ) قليلون ، و هم فيما بينهما في تفاوتٍ كبير .

فأقسامُ الطلاَّبِ بالنسبة لـ ( التَّخصُّص ) ثلاثةٌ :

**أولها :** مِنْ لم يرمِ إلى تخصُّصٍ في علمٍ من العلوم ، بل هو مشتغلٌ في كل علم مُحصِّلاً له ، و لكن دون إتقانٍ و إحكامٍ .

و أُسميهم بـ ( المُثقفين ) أو ( الجمَّاعين ) .

**ثانيها :** مَنْ تخصَّصَ في علمٍ و جَهِلَ علوماً ، و هذه حالُ أكثرِ مُتخصِّصِي زماننا .

**ثالثها :** مَنْ تخصَّصَ في علمٍ و ألمَّ بالكفايةِ من العلومِ الأخرى ، و هؤلاء أقلُّ من راحلةٍ في إبلٍ ألفٍ .

**الثالث : زَمَنُ ( التَّخصُّص ) .**

يظن \_ غلطاً \_ كثيرٌ من طلاب العلوم أن التَّخصُّصَ يكون حين ميلةِ الطالب لعلمٍ من العلوم ، و هذه نظرةٌ خاطئة .

إن ( التَّخصُّصَ ) نهايةٌ بعد بداية ، و آخرةٌ بعد أولى ، فزمنُ اشتغال الطالب به إنما يكون بعد إلمامه بجملةٍ من العلوم ، و المشاركة بأصولها و رؤوسها .

( و بعدَ المُطالَعَةِ في الجميع \_ أي جميع الفنون \_ أو الأكثر إجمالاً إن مالَ طبعه إلى فنٍّ عليه أن يقصدَه و لا يَتكلَّف غيره ، فليس كل الناس يصلحون للتَّعلُّم ، و لا كل مَنْ يصلُح للتَّعلُّم يصلح لسائر العلوم ، بل كل مُيَسَّرٌ لما خلقَ له .

و إن كان مَيْلُهُ إلى الفنون على السواء مع موافقة الأسباب ، و مساعدة الأيام ، طَلَبَ التَّبَحُّرَ فيها ) ([[1]](#footnote-1)).

و أما سلوك ( التَّخصُّص ) قبل تحصيل أصول العلم فهو خلَلٌ و غلطٌ ، إذ غالبُ ذلك انتقاءُ ما تميل إليه النَّفْسُ في حال اشتعال فتيلة همتها .

و لذا كانت سيرة العلماءِ الأقدمين على هذا المنوال ، و على هذا الدرب و الطريق .

فلابدَّ من الإلمام بالفنون الأخرى ، و هو المُسَمَّى بـ ( التَّفَنُّن ) أو ( المُشَارَكة ) .

و بيانُ ذلك في الآتي :

الرابع : معنى التفنُّن في العلوم .

كثيراً ما تستوقفنا كلمة ( المُتَفَنِّنْ ) في كتب التراجم و السِّيَر ، و يخالجنا فيها معانٍ لها كِثار ، منها الصائب و أكثره بعيد النَّجْعَةِ .

و أصلُ المعاني التي تخالجنا صحيح ، لكن الحقيقة هي الغائبة .

فحقيقةُ ( التَّفنُّن ) في العلم هي : ( الوقوفُ على كُلِّياتِه التي تشتملُ على جميع أجزائه بالقـوة ) ([[2]](#footnote-2)).

الخامس : القَدْرُ المطلوب في ( التفنُّن ) .

ليس المرادُ بـ ( التَّفَنُّن ) إلا ما بينه ( مسكويه ) في كلامه الآنف ، و لكن ما القدرُ الذي به يكون تحصيلُ ( التَّفَنُّن ) في تلك العلوم .

أبانَ عنه ( حاجِّي خليفة ) فقال \_ لما عَدَّدَ شرائط التَّحْصِيْل \_ : ( و منها : أن لا يَدَعَ فناً من فنون العلم إلا و نظرَ فيه نظرَاً يَطَّلِعُ به على غايته و مقصده و طريقته ) ([[3]](#footnote-3)).

و خلاصةُ التفنُّن في أمرين :

الأول : معرفةُ مفتاحِ الفن ، و ذلك من خلال :

1. المباديءِ العشرة .
2. مدارسه .
3. رجاله .
4. كتبه .
5. مصطلحاته .

الثاني : مدخل الفن ، و يكون بمعرفة كبرى مسائله ، و أشهر أبوابه .

**النَّقِيْصَةُ الثَّانِيَةُ**

**ضَعْفُ المَيْلِ إلى الابْتِكار**

هذه النَّقِيْصةُ من أشهر ما وُجِدَ بين طلاب العلوم ، و للأسف أنه لا يجهل أحدٌ قدرها ، و لكن ليس كلاًّ موفقاً لها .

و الابتكار هو الإبداع ، و معناهما واحد .

و الإبداع من أنفسِ مناقب الذكي ، و من أجلِّ محامده .

و الإبداع أو الابتكارُ سيكون الكلام فيه في نواحٍ عِدَّة :

**الأولى : معنى الابتكار .**

الابتكار له معنيان :

**الأول : ابتداع شيءٍ غير مسبوق إليه** ، و المعنى \_ أشد إيضاحاً \_ هو : الاختراعُ لشيء جديد لم يُسْبَقْ إليه .

و من أمثلةِ ذلك علمُ أصولِ الفقه ، فإن الذي اخترعه كعلمٍ مُفْرَدٍ هو الإمام الشافعي ([[4]](#footnote-4)).

و من ذلك أصول الشَّعْرِ و عروضه فإن مُخترِعَهُ هو الخليل بن أحمد الفراهيدي .

**و المعنى الثاني :** التجديد لعلم اندَرَسَ ، و التجديد له بالتذكير به .

و يَظْهرُ من خلال التعريف له دِقَّته و عِزَّتُه .

**الثانية : هل الإبداعُ جِبلِّي أم اكتسابي ؟**

يميلُ كثيرٌ من الناس إلى أن الإبداع يأتي مخلوقاً مع الإنسان ، فلا يوجد مبدع إلا وهو مخلوق فيه الإبداع .

و من لم يكن كذلك فليس أهلاً لأن يكون مُبْدِعَاً .

و هذه نظرة آفنة ، و رؤية خاطئة ، و إبطالها من أوجه :

الأول : أن الإبتكار من نتائج العلم ، و ثمار المعرفة ، و العلم و المعرفة مكتسبان .

الثاني : أن بالمجاهدة يكون تحصيلُ المراد ، و لنا فيه قولِ سيدنا رسول الله : " **إنما العلمُ بالتعلُّم ، و إنما الحلمُ بالتحلُّم** " .

الثالث : أنَّ حُبَّ التميُّز موجود في النفسِ البشرية ، و لكن من الناسِ من يُخفيه ، و منهم من يُبديه ، و الإبداع و الإبتكارُ من التميُّز الكامن في خفايا النفس .

**الثالثة : أهميَّةُ الإبداع .**

الكلامُ عن أهميَّةِ الإبداع و ( الابتكار ) من ثلاثة جوانب :

الأول : ما سبقَ أن قُرِّرَ في معناه تظهرُ أهميته .

الثاني : الفضائل الواردة في العلم تنطبق عليه إذ هو مرتبةٌ من العلم .

الثالث : مرتبةُ الإبداع مرتبةٌ عاليةٌ لا يَصِلُها إلا الخُلَّصُ من الرجال المؤهلين لها .

**الرابعة : الطُرُقُ المُوْصِلَةُ إلى الإبداع .**

لـ ( الإبداع ) طُرُقٌ تُوْصِلُ إليه ، و لا يَتأتَّى الوصولُ إلى ( الإبداع ) إلا بها و من خلالها :

**الطريقُ الأولى :** الآلة التي بها الإدراك و التحصيلُ ، و هي : ( العقل ) .

و هذه الآلة شيئان :

الأول : الحفظُ .

الثاني : الفهم .

يقولُ ابنُ تيمية \_ رحمه الله \_ " اقتضاء " ( 1/160 ) : (العلم له مبدأ وهو قوة العقل الذي هو الحفظ والفهم ) .

**الطريقُ الثانية :** استيعابُ المسائل التي تُوْصِلُ إلى الإبداع .

فإن ( الإبداع ) في أي فنٍّ لا يكون الوصول إليه إلا بعد أن يَسْتَوعِبَ الشخصُ أصول و مسائل ذاك الفن .

و معلومٌ أنه لا يكون ( الإبداع ) إلا على أصولٍ من العلم يُعْتَمَدُ عليها عند أهل الفن و العلم .

و خاطئةٌ طريقةُ البعضِ حين يدَّعي ( الإبداع ) في علمٍ من العلوم و هو لم يَسْتَوْعِبْ مسائله ، بل أصول العلم .

الطريقُ الثَّالثةُ : مَعْرِفَةُ حقيقةُ ( الإبداع ) .

و قد سبقَ تقريرُ ذلك فيما مضى .

**الخامِسَةُ : أخلاقياتُ ( الإبداع ) .**

لابدَّ أن يتمتع ( المُبْدِعُ ) في ( إبداعه ) بأخلاقياتٍ مهمة لابُدَّ من مُراعاتها :

**الأولى : أن يَعْلَمَ أن كلَّ شيءٍ من الله \_ تعالى \_ .**

فإن كثيراً ممن يَظُنُّوْنَ أنهم ( مبدعون ) في العلوم يكون لديهم شعورٌ بالخروج عن قدَرِ الله \_ تعالى \_ ، و يظنون أن ما أصابوه من ( إبداع ) إنما هو من تلقاء جهدِهمْ و عقولهم .

و هذا تَلْحَظُه في كثيرين من كُتَّابِ هذا الزمان \_ و الله المستعان \_ ، و قدْ حصلَ هذا لـ ( ابن سينا ) فإنه لما حصَّلَ علوماً و أبدع فيها لَحِقَهُ الطغيان فطغى ، و مثله ( ابن الراوندي ) .

**الثانيةُ : عَزْوُ المَعْلُوُمَةِ إلى أهلها .**

فإنَّ بركةَ العلم في عَزْوِهِ لأهله ، إذ هو نالَ طرفاً مُؤَصِّلاً لـ ( الإبداع ) لديه من كلامِ مَنْ سَبَقَهُ من السابقين له في العلم و الفضل .

و كان هذا منهجاً مسلوكاً لدى العلماء النبلاء كـ ( أبي عبيد القاسم بن سلاَّم ) و ( السيوطي ) ... .

**الثَّالِثَةُ : المَجِيءُ بالأمور على وجهها .**

و ذلك في ناحيتين :

**الأولى :** في آداب الكتابَة .

**الثانية :** في آداب التأليف .

و يُنْظَرُ : علامات الترقيم لـ ( أحمد باشا ) ، و صياغةُ البحث العلمي لـ ( عبد الوهاب أبو سليمان ) .

**السادِسَةُ : العلوم التي يُبْدَعُ فيها .**

العلومُ التي يُحْرَصُ على ( الإبداع ) فيها نوعان :

**الأول :** العلم النافع ، و نَفْعِيَةُ العلوم من جهتين :

الأولى : المضمون .

الثانية : الثمارُ و النتائجُ .

**الثاني :** العلم المُحْتَاجُ إليهِ بِكَثْرَةٍ .

**النَّقِيْصَةُ الثَّالِثَة ً**

**الكَسَلُ عن المُطالَعة**

آلَةُ العالِمِ كُتْبُهُ ، و عُمُدُ تَحْصِيْلِه كَرَارِيْسُ العلم لديهِ ، و على مَدَى حِرْصِهِ عَلَيْها يكون شأنُ تحصيلِه ، و بِقِلَّة إهمالها يكونُ ضَعْفُ تَحْصِليه ، و هي مُكَوِّنَةِ علم الرجل ، و مُنْضِجَة فكره .

و بها تمدَّح العلماء ، و بفضلها ترنحوا .

و لَقَدْ بُلِيْنَا في هذا الزمان بِقِلَّة المُطَّلِعِيْن على الكُتُبِ ، بل بُلِيْنَا بِكثْرَةِ الكُتُبِ التي تَتَّسِمُ بـ ( الغُثُوْثَة ) ، و لأجلِ ذا كان الانصرافُ عن المُطَالَعة .

و المُطَالَعةُ إذ كانت بذا المُقام ، و تِيْكَ المكانة فإنه لابُدَّ من إضاءةٍ حول نُقْصَانِها في صَفِّ من اشْتَغَلَ في العلم \_ طَلَبَاً و تَعْلِيْمِاً \_ ، فأقولُ و بربي استعانتي ، و عليه اتّكالِي :

إن الكلامَ على ( المُطَالَعةُ ) سيكون من خلالِ ما يأتي :

**الأَوَّلُ : في الأسبابِ المانِعَةِ من المُطالَعة .**

لمْ يَكُن انصرافُ طلاَّبِ العلم عن المُطالَعة ، و الاهتمام بها إلا من أسبابٍ حَفَّتْ بها ، و جملتُهَا قسمان :

الأول : أسبابٌ في المُطالِع .

إن أهمَّ الأسباب المانِعَةِ من ( المُطالَعة ) هي ما كان ورودها مِنْ قِبَلِ ( المُطالِع ) ، و إليك طَرَفَاً منها :

**الأولُ :** ضَعْفُ الهمةِ في ( المُطَالَعة ) .

**الثاني :** عَدَمُ استشعارِ أهميتها .

**الثالث :** الجَهْلُ بطرائق ( المُطالَعة ) ، و هما طريقتان :

**الأولى : المنهجية في ( المُطَالَعة ) .**

فترى بعضاً من القوم يَشْرَعُ في قراءةِ ما وقع في يده من الكتب ، مُهْمِلاً بذلك شأنه و حاله مع الكتابِ المُطالَع .

و ( المُطالَعةُ ) النافعةُ هي ما كان فيها أمران :

الأول : التناسُبُ بين الكتاب و المُطالِع ، و يندرجُ في هذا شيئان :

أولها : التناسب في العقل و الفهم ، فلا يكون في فنٍّ لا يفهمُ أصوله .

ثانيها : التناسبُ في اللغة و العبارة ، فلا يكون الكتابُ ذا لُغَةٍ أكبر من القاريء .

الثاني : يُسْرُ القراءة فيه ، و هذا فيه أمور :

أولها : اليُسْرُ من جهة حُسنِ الطباعة و الإخراج .

ثانيها : اليُسْرُ من جهة المعلومة فيه و اتفاقها مع فهم القاريء .

ثالثها : اليُسْرُ من جهة الزمان و المكان .

فهذَانِ لُبُّ ( المُطالَعةُ ) النَّافِعة ، و بفقدِهما يكون فُقْدانُ المَنْفَعة .

**الثَّانِيَةُ : إهمالُ آداب ( المُطَالَعة )** و هي تدُوْرُ في محورين :

الأول : جِلْسَةُ ( المُطالِع ) .

الثاني : أدَبُ الكتابِ .

الثاني : أسبابٌ في المُطالَع ( الكتاب ) و هي ثمانيةٌ :

أولها : إسْقاطُ الألفاظ من الكلام .

ثانيها : زيادةُ ألفاظٍ في الكلام .

ثالثُها : إسقاطُ أحرُفٍ من كَلِمَةٍ .

رابعها : زيادةُ أحرُفٍ في كلمةٍ .

خامسُها : وَصْلُ حَرْفٍ مفصولٍ ، أو فَصْلُ حَرْفٍ موصولٍ .

سادسها : تَغييرُ أشكالٍ الحروف بأشباهها كـ: كتابةِ ( الحاءِ ) على شكْلِ ( الباء ) .

سابعها : العُدُوْلُ عن الأشكالِ الصحيحة للحروف كَتَصِيِيْرِ ( العيْنِ ) كـ ( الفاء ) في حال الوصل ، أو كـ ( الحاء ) في حال الفصل .

ثامنها : إغْفَالُ ( النَّقْطِ ) و ( الإعْجَام ) .

( النَّقطُ ) وَضْعُ النُّقَط .

( الإعْجام ) تَشْكيلُ الكلمة بحركاتها ([[5]](#footnote-5)).

**الثاني : أقسامُ المُطَالَعةِ ،**  و هي قسمان :

أولاً : قسمٌ من حيث نوعيةُ المقروء ، و هو على أنواع :

الأول :القراءة التأصيلية : و هي القراءة التي يعتمد فيها على التركيز و التمعن ، و هي في نوعين من الكتب :

1- شروح المتون : فإن التركيز عليها حال قراءتها من مطالب التأصيل و التأسيس ، و بها يكون الطالب على إلمام كبير بمقاصد المتن .

2- كتب العلم ( الشرعي ) و هي التي يكون فيها التحصيل العلمي ، مثل كتب : الاعتقاد ، الفقه ، الحديث ، الأصول ، المصطلح ، النحو ....

الثاني : القراءة الجردية : و هي تعني أن هناك كتباً تقرأ قراءة فيها نوع من التركيز و التفهم ، و لا تحتاج الى إعمال الفكر و العقل في عباراتها ، و هي في نوعين من الكتب :

1- المطولات : و هي الكتب ذات المجلدات الكثيرة ، و هي لا تستدعي التوقف عندها و التفكر لمعانيها ، و غنما تقرأ لبحث ، أو غيره من الحاجات .

مع أن المتعيِّن على طالب العلم أن يقرأ بها و لكن بعد إدراكه أصول العلم .

2- كتب التكميل العلمي : و مرادي بالتكميل العلمي : هو تحصيل الطالب علماً ليس أساساً في تكوينه علمياً و تأصيله فيه ، بل هو من مكملات ثقافته و علمه .

و علومه : التأريخ ، التراجم ، الأدب ، اللغة ...

الثالث : القراءة الموسمية : و هي القراة التي تكون في مناسبات و أوقات ، و هي نوعان :

1- قراءة في المواسم العبادية : كقراءة كتب الحج قبل الحج ، و الصيام قبل الصيام ، و النكاح قبل النكاح ، و البيوع قبل البيع و الشراء .

2- القراءة في أحكام النوازل : و هي القراءة في الكتب التي ألفت في أزمنة من أزمنة المسلمين التي حلت فيهم نازلة و كارثة كغزوة أشكلت عليهم ، و هكذا .

و بِهَذا أكون قد أوقفت اليراعة عن الرَّقْمِ ، و اللسان عن البَوْحِ بالكَلِم ، آملاً من الله العليم ، أن يَعُمَّني بفضله العميم .

و صلَّى الله على نبينا محمد و على آلهِ و صحبه .

1. (1) " كَشْفُ الظنون " ( 1/46 ) .

   [↑](#footnote-ref-1)
2. (1) " الهوامل و الشوامل " ( ص 304 ). [↑](#footnote-ref-2)
3. (2) " كشف الظنون " ( 1/46 ) . [↑](#footnote-ref-3)
4. (1) انظر : " البحر المحيط " ( 1/6 ) . [↑](#footnote-ref-4)
5. (1) انظر : " أدب الدنيا و الدين " ( ص 104\_107 ) . [↑](#footnote-ref-5)